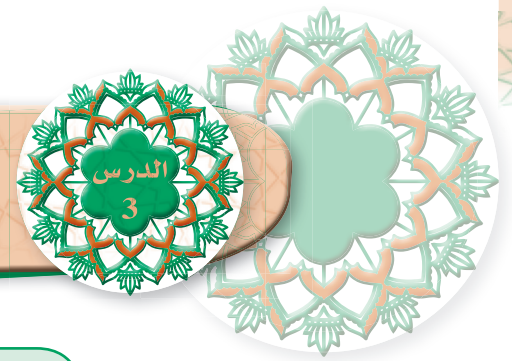


نشأة الفلسفة الإسلامية وتطورها



أهداف الدرس

1. أن أتعرف نشأة الفلسفة الإسلامية وتطورها؛
2. أن أثبت أثر العلوم الإسلامية في تطور الفلسفة الإسلامية؛
3. أن أتمثل حضورها نشأة وتطورا وامتدادا.

تمهيد

ارتبطت الفلسفة الإسلامية بقضايا كبرى ، تتصل بعقيدة التوحيد ، وموضوع خلافة الإنسان في الأرض ، وقد شغلت هذه القضايا عقول الفلاسفة في مختلف مراحل التفكير الفلسفي الإسلامي الذي وضع القرآن الكريم أسسه وقواعده ، ورسم معالمه ، حتى أضحت هذه القضايا مثار نقاش فكري ، ومبعث سجال نظري بين الدارسين والمفكرين تختلف أنظارهم كما وكيفا ونوعا ، دقة وعمقا واتساعا .

فكيف نشأت الفلسفة الإسلامية؟ وما هي إسهامات العلوم الإسلامية في نضجها وتطورها؟

نص الانطلاق

1. قال العلامة ابن خلدون: «... وذلك أن قوما من عقلاء النوع الإنساني زعموا أن الوجود كله الحسي منه وما وراء الحسي تدرك أدواته وأحواله بأسبابها وعللها بالأنظار الفكرية والأقيسة العقلية ، وأن تصحيح العقائد الإيمانية من قبل النظر ، لا من جهة السمع ، فإنها بعض مدارك العقل ، وهؤلاء يسمون فلاسفة ، وهو باللسان اليوناني محب الحكمة ، فبحثوا عن ذلك وشمروا له ، وحوّموا على إصابة الغرض منه ، ووضعوا قانونا يهتدي به العقل في نظره إلى التمييز بين الحق والباطل ، وسموه بالمنطق» . [مقدمة ابن خلدون 1209/3]

2. قال سامي النشار: «إن خصائص المنهج التجريبي الإسلامي أنه منهج إدراكي أو تأملي، فقد أدرك مفكرو الإسلام تمام الإدراك أنه لا بد من وضع منهج في البحث يخالف المنهج اليوناني؛ حيث إن هذا المنهج الأخير إنما هو تعبير عن حضارة مخالفة، وتصور حضاري مخالف». [نشأة الفكر الفلسفي، ص 39]

الفهم

استخلاص المضامين:

- أستخلص من النصين نشوء الفلسفة الإسلامية وتطورها.

الشرح:

- **المنهج:** الطريق السلوك .
- **حوّموا:** أداموا النظر والتفكير .
- **وشمروا:** اجتهدوا .

التحليل

نتناول هذا الدرس من خلال المسألتين الآتيتين:

المسألة الأولى: نشأة الفلسفة الإسلامية

دأب كثير من المؤرخين المسلمين على القول بأن العرب كانوا يعيشون قبل الإسلام في جهل مطبق، وأنهم كانوا لبداءوتهم مجموعة من القبائل يغزو بعضها بعضا، لا يجمعهم نظام، ولا ينتظمهم فكر أو دين، أو قانون، وأثّرت الجاهلية على حياة العرب أنواعا من التأخر والانحطاط في كافة الميادين، وخاصة الميدان الديني والخلقي والفكري. ورغم هذا الوضع الحالك فقد عرف شبه الجزيرة العربية مراكز حضارية مهمة، كما عرف أهم الملل والنحل السائدة في عصرهم من يهودية ومسيحية ووثنية ومجوسية، فضلا عن ظهور بوادر حركة دينية موجهة نحو دين إبراهيم الحنيف عليه السلام؛ فقد عرفت طائفة من العرب باسم الحنفاء، وهم أناس رفضوا عبادة الأوثان، وراحوا يبحثون عن الدين الحق، فاعتنق بعضهم النصرانية، وبعضهم تمسك ببقايا دين إبراهيم عليه السلام، وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ: «لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح، قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي، فقدمت إلى النبي ﷺ سفرة

فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، وكان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله». [صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل]

إن الناظر في تاريخ العرب قبل الإسلام يجد أنهم لم يكن لهم نظام فكري متكامل، يمكن أن يسمى تفكيراً فلسفياً بالمعنى الدقيق للفلسفة- البحث في حقائق الموجودات-، بل كل ما كان لهم في مجال الفكر الفلسفي من قبيل «فلتات الطبع وخطرات الفكر» يقول الشهرستاني- عن الفلاسفة-: «ومنهم: حكماء العرب، وهم شردمة قليلون؛ لأن أكثر حكمهم فلتات الطبع، وخطرات الفكر». [الملل والنحل 57/2]

والحق الذي لا مرية فيه أن التفكير الفلسفي لم يبدأ عند العرب إلا بعد ظهور الإسلام واتساع ثقافته، واحتكاك ثقافته بثقافات أخرى، وبروز قضايا تحتم أعمال الفكر والنظر العقلي، مستهدياً بالنص الشرعي؛ «وقد نادى القرآن بالحقائق التوقيفية، الحقائق التي لا مجال للعقل أن يرتادها، ولم يحدث قط أن اخترق العقل منذ وجد القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف على هذا الكون سياج الحقائق التوقيفية، ووجه القرآن العقل أيضاً إلى الحقائق التوفيقية، الحقائق التي للعقل مجال التوفيق فيها، وقد اندفع العقل في نطاقها، فأبدع العلم، وأقام الحياة، وقنن النظام، وضبط المسار». [نشأة الفكر الفلسفي، ص 22]

إن القرآن الكريم كتاب عقيدة وشريعة وأخلاق، «ولكنه مع ذلك كله تعرض بكثير من آياته لأمّهات المشاكل الفلسفية الإلهية والطبيعية والإنسانية، هذه المشاكل التي كانت-وما تزال- تثير العلماء والفلاسفة وتحرك عقولهم، وكان تعرضه لبعض المشاكل وبخاصة الإلهية منها على نحو يدعو إلى تعمقها وإنعام التفكير فيها... على أن القرآن الكريم وإن دفع إلى التفكير الفلسفي، وكان المصدر الأول الذي استوحاه «المتكلمون» على اختلاف مذاهبهم، فإنه كان من ناحية أخرى حاجزاً دون ضرب آخر من التفكير الفلسفي، نعني به التفكير الذي كان عماده الفلسفة الإغريقية أو الذي تأثر بها إلى حد كبير». [القرآن والفلسفة، محمد يوسف موسى، ص 110 بتصرف] فالقرآن الكريم دعا إلى النظر والتأمل في آيات الله المنصوبة في الأنفس والآفاق للاستدلال بذلك على وجود الله ووحدانيته، وحاجج منكري البعث والنشور حجاجاً عقلياً بقياس الإعادة على البدء فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ

يَرَىٰ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نَّحْصَةٍ فَإِنَّا نُوَخِّصُهُمْ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ وَضَرَبْنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٧﴾ فَلْيُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٨﴾
 • إِنْ يَجْعَلْ لَّكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِنَّا آنُتُمْ مِنهُ تُوفِدُوهُ ﴿٧٩﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلًى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٠﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨١﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدُلُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٢﴾ [يس 77-81]

وأثبت القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر 62] وأنكر قدم العالم معلنا حدوثه، وأنه سبحانه خلق الإنسان، وسخر له الكون باعتباره خليفة في الأرض، ومخلوقا مكرما ومسؤولا خلقيا وحضاريا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الاسراء 70]، وأكد على كرامة الإنسان، ومسؤوليته عن حركاته وسكناته، وأنه مخير بين الخير والشر كسبلا لا تأثيرا ﴿لَقَدْ آمَأَ كَتَبْتُ وَعَلَيْهَا مَا أَكْتُبْتُ﴾ [البقرة 286]، فكل من شغل بالتفكير الفلسفي في الإسلام حاول أن يستند إلى القرآن، وبذلك شغلت حقائق القرآن الكريم كل نواحي الفكر الإسلامي والفلسفة الإسلامية تجريبيا ونظريا، تأصيلا وإبداعا وتقنيا. [نشأة الفكر الفلسفي، ص 33 بتصرف]

فالتفكير الفلسفي الإسلامي النابع من القرآن الكريم له منهجه وتعبيره عن حضارة الإسلام وقضاياها، يقول سامي النشار: «إن خصائص المنهج التجريبي الإسلامي أنه منهج إدراكي أو تأملي، فقد أدرك مفكرو الإسلام تمام الإدراك أنه لا بد من وضع منهج في البحث يخالف المنهج اليوناني؛ حيث إن هذا المنهج الأخير إنما هو تعبير عن حضارة مخالفة، وتصور حضاري مخالف...». [نشأة الفكر الفلسفي، ص 39]

المسألة الثانية: تطور الفلسفة الإسلامية

تطورت الفلسفة الإسلامية بشكل تدريجي في مختلف العلوم والمعارف، وتعددت مشاربها طرائق قديدا، وكان الأصل الأول لها القرآن الكريم الذي لم يكن مجرد مواعظ خلقية، أو تاريخا أنزل لأخذ العبر من قرون ماضية، وإنما كتاب دعوة وتوجيه وبناء لفكر الإنسان، يروم الدعوة إلى الحق المبين، والتوجيه نحو السبيل القويم، واضعا خطوطا رئيسة للوجود كله، إنه كتاب الكون المفتوح في النشأة والتكون والزوال، أعلن مصدر الوجود، ومدار التكوين والتدبير ﴿قُلْ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الْعِزُّ مِنْ دُونِهِ﴾ [لقمان 11] وكانت بداية تطور الفلسفة الإسلامية مع علم

الكلام (الألوهية، النبوة، الإمامة، المعاد) وهو علم يستند بشكل رئيس إلى النصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، «يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة» [مقدمة ابن خلدون 1069/3] وكانت فتنة القول بخلق القرآن، وإنكار صفات المعاني، والجبر والاختيار، والقضاء والقدر من أهم القضايا التي عرفت سجالاتاً فلسفياً كلامياً بين: طائفة اعتمدت ظاهر الرواية والأثر، وطائفة حكمت العقل والنظر، وثالثة - وهم أهل السنة الأشاعرة - وفقت بين صريح الأثر وصحيح النظر، فجمعت بين الحسنيين.

وفي العصر العباسي ازدهر النشاط العقلي والتفكير الفلسفي الإسلامي، فاستمرت الفرق المذهبية في نموها وتطورها، ونشأت خلالها المذاهب الفقهية الأربعة، وبلغت حركة التأليف ذروتها واتساعها؛ حيث شملت مختلف العلوم والفنون، وكان لحركة الترجمة أثر واضح في إنماء ثمرات الفكر الإسلامي، وإنضاج الوعي الثقافي، وظهرت محاولات التوفيق بين المنطق والعلوم الإسلامية، والاستفادة من المنطق اليوناني في علم الكلام وعلم أصول الفقه وفق خصوصية الحضارة الإسلامية، وتزعم الإمامان الغزالي وابن رشد هذا التوجه، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون - الذي كان له موقف متحفظ من انتحال الفلسفة -: «وذلك أن قوماً من عقلاء النوع الإنساني زعموا أن الوجود كله الحسي منه وما وراء الحسي تُدرك أدواته وأحواله بأسبابها وعللها بالأنظار الفكرية والأقيسة العقلية، وأن تصحيح العقائد الإيمانية من قبل النظر، لا من جهة السمع، فإنها بعض مدارك العقل، وهؤلاء يسمون فلاسفة...». [مقدمة ابن خلدون 1209/3]

التقويم

1. أبين بداية نشأة الفلسفة الإسلامية؛
2. أتحدث عن أثر القرآن الكريم في تطور الفلسفة الإسلامية؛
3. أوضح معالم الفلسفة الإسلامية ومراحل تطورها.

الاستثمار

يقول سامي النشار: «ليس في حياة المسلمين ولا في تاريخهم من حقائق أخطر، ولا أدق من حقائق هذه الفلسفة الإسلامية، إنها جوهر حياتهم، ومرآة تطورهم، وانعكاس لما في باطن مجتمعهم من آمال وآلام. ولقد شملت هذه الفلسفة آفاقا متعددة، واقتحمت ميادين متسعة، ميتافيزيقة وطبيعية وأخلاقية، وسياسية، وأقامت حضارة ذات طابع خاص، يميزها عن غيرها من الحضارات، [نشأة الفكر الفلسفي، ص 9]

أناقش هذا النص مبرزاً من خلاله أهمية الفكر الفلسفي الإسلامي.

الإعداد القبلي

أعد مع أصدقائي بحثاً جماعياً عن مدارس الفلسفة الإسلامية.